

## أي نوع من الحرب؟ نظرة إستراتيجية على الحرب ضد الإرهاب

العقيد جون د. يوجرست، القوات الجوية الأمريكية

إن القرار الأول والأعلى ذو الأثر العميق الذي يجب على مسئول الدولة والقائد أن يتخذه هو استخدام اختبار الحرب التي سيخوضها لتقرير نوعها. وذلك لكي لا يخطأ في تقييمها ولا يحولها إلى شيء مخالف لطبيعتها.

- كارل فون كلاسويتز

بعد مرور سنتين على حربنا العالمية ضد الإرهاب الانتقالي ما تزال إستراتيجية الولايات المتحدة وحلفائها في العالم المتحضر مستمرة في التطور.<sup>1</sup> لقد تم تدمير الأنظمة الحاكمة الداعمة للإرهاب في أفغانستان والعراق. كما يستمر الهجوم على الحركات الإرهابية في الفلبين والأماكن الأخرى. وقد تم اعتقال الإرهابيين في العديد من الدول حول العالم. وقامت الولايات المتحدة بنشر الاستراتيجية القومية للحرب ضد الإرهاب والتي تدعو إلى "استراتيجية للعمل المباشر والمستمر ضد المجموعات الإرهابية. حيث يعمل تأثيرها المتراكم مع الوقت على تمزيق وتخفيض وبالنهاية القضاء على المنظمات الإرهابية."<sup>2</sup> غير أن النقاش ما زال مستمر داخل الولايات المتحدة حول الخصائص والإستراتيجية المناسبة والهدف النهائي للولايات المتحدة في هذه الحرب ضد الإرهاب.

فمباشرة بعد هجمات الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١، قام العديد من المعلقين بوصف هذا الصراع على أنه نوع جديد من الحروب.<sup>3</sup> فوصول المنظمات الإرهابية العالمي وتكاملها وإمكانية استخدام الإرهابيين لأسلحة الدمار الشامل وغياب حكومة دولية مُعادية، كل ذلك يعد شيء جديد وليس له مثيل. وتدرك إستراتيجيتنا القومية للحرب ضد الإرهاب بأن هذا "الكفاح ضد الإرهاب الدولي مختلف عن أي حرب شهدتها التاريخ. ولن نحقق النصر ولو مبدئياً عن طريق استخدام القدرة العسكرية فقط. وينبغي أن نحارب شبكات الإرهاب، وكل الذين يدعمونهم لنشر الخوف في العالم، مستخدمين جميع مصادر القوة القومية الدبلوماسية والاقتصادية وضبط القانون والمالية والاستعلامية والمخابرات والقوة العسكرية."<sup>4</sup>

غير أن استخدام كل هذه الأدوات للقوة القومية بطريقة مترابطة يتطلب نظرة موحدة - تعريف للأزمة وكذلك لعدو معين - التي تنطبق من ميدان المعركة التكتيكي وإلى أعلى مستويات صناعة السياسة في الولايات المتحدة. ولقد أدى الجدل والنقاش الأكاديمي والشعبي إلى ترشيح ثلاث وجهات نظر لهذا المنظور. فهناك معسكر ينظر للأزمة على أنها "صدام بين الحضارات" نابع من طبيعة عالمنا المتعدد الحضارات والمتواصل. وهناك معسكر آخر

ينظر للأمر على أنه جزء من مهمة المجتمع العالمي المتحضر المستمرة في استئصال والقضاء على العناصر الشريرة التي تحاول نهب مجتمعتنا. أما بالنسبة للمعسكر الثالث، فتمثل الحرب الدائرة حالياً ضد الإرهاب مرحلة جديدة أوسع من الحرب الحضارية المستمرة للتحكم بالعالمين العربي والإسلامي.

لكن على الرغم من أن التحليل الدقيق يؤكد صحة النظرة الثالثة، فإن الميدان العالمي للمتمردين والتكتيكات الإرهابية المستخدمة تغشي البصر. إن مرجعنا في الحرب ضد الإرهاب له تضمينات حالية وبعيدة المدى بالنسبة لاستراتيجية الولايات المتحدة وتخطيط القوة. وتوفر وجهات النظر تلك للولايات المتحدة مجموعة مختلفة من الخيارات الاستراتيجية.

### الصدام بين الحضارات

يصف صامويل هنتنجتون في مقاله "صدام الحضارات؟" ثم في كتاب لاحق عن نفس الموضوع، مستقبل الصراعات ليس كتنافس بين الحكومات الدولية للسيطرة على المصادر والتأثير. بل كاحتكاك بين الحضارات العظمى في العالم،<sup>٥</sup> ففي الماضي إما لم يكن هناك اتصال بين عناصر الحضارات المختلفة أو ربما كان هناك اتصال ولكن متقطع. ومعظم الصراعات كانت بشكل كبير بين العناصر المختلفة لنفس الحضارة والذين تنازعوا من أجل السيطرة المحلية على منطقة أو شعب أو تأثير معين. وقد تغير هذا الحال مع قيام الإمبراطوريات الغربية الكبرى، والتي سمح لها تطورها التكنولوجي بالسيطرة على الحضارات الأخرى. كما قام أعضاء الحضارة الغربية بحرب واسعة النطاق بين بعضهم البعض. ويبدو أن نهاية الحرب الباردة وضعت نهاية لحالة الحرب بين الحضارة الغربية. ولكنها أزالّت القيود عن نشوب الصراع بين الأعضاء الآخرين للحضارات الأخرى في الشبكة الحضارية العالمية التي أصبحت الآن مترابطة.

في هذه المرحلة الجديدة من المنافسة، يتوقع هنتنجتون ظهور أزمات أساسية نتيجة للاختلافات الحضارية بين الحضارات البارزة والتي قسّمها إلى الحضارة المسيحية الغربية والمسيحية الأرثوذكسية والإسلام والعقائد الروحية الأفريقية والهندوسية والبوذية والكونفوشوسية والحضارة اليابانية. وتظهر الأزمات على "خطوط التماس" بين تلك الحضارات. حيث خلّ أمور الهوية والقيم الحضارية محل موضوعات الجغرافيا السياسية الدولية التي كانت في قلب الأزمات في السابق.<sup>١</sup>

ويمكن للمرء - باستخدام إطار هنتنجتون - أن ينظر للأزمة بين الإسلام والغرب على أنها استمرار لألف وأربعمائة عام من التنافس بين حضارتين توسّعتين وعالميتين، تتشابهان في رؤيتهما التبشيرية (إلى الحد الذي تعتبر فيه كل حضارة أنها تمتلك الإيمان الصحيح وأن

لها الحق في تحويل كل "الكافرين" إلى عقيدتها).<sup>٧</sup> إن عقيدة التوحيد في كلا الحضارتين تجعل من الصعب استيعاب وجود آلهة أخرى ويؤدي ذلك إلى رؤية العالم من خلال منظور ازدواجي. وعلى الرغم من أن العالم بالنسبة لكلا الحضارتين من "إبداع الله" وأن من واجبهما الحفاظ عليه، إلا أن المسلمين يعتبرون الإسلام طريقة حياة تشمل الدين والسياسة. بينما المسيحية الغربية تفصل بين ممارسة الدين والحكم الديني.

وقد صدقت العديد من المنتديات هذه النظرة في الحرب ضد الإرهاب على أنها صراع بين الحضارات - الحرب العالمية الرابعة. وقد وصف الدكتور إليوت كوين من جامعة هوبكنز هذه الحرب في أعقاب الحادي عشر من سبتمبر والحرب في أفغانستان على أنها "منافسة على الحكم الحر والمعتدل في العالم الإسلامي".<sup>٨</sup> وقد ألقى جيمس وولسي، المدير السابق لوكالة المخابرات المركزية كلمة أمام ندوة "عطلة نهاية الأسبوع الترميمية" في عام ٢٠٠٢. على أساس أطروحة الدكتور كوين ملخصاً الأزمة برمتها باستخدام تعبيرات حضارية: "نحن مكروهين بسبب حريتنا في التعبير وحریتنا الدينية وبسبب حريتنا الاقتصادية وبسبب مساواتنا في معاملة المرأة، أو على الأقل قرب مساواتنا، يكرهوننا بسبب كل الأشياء الحسنة التي نفعها".<sup>٩</sup> كما يجد المرء تلخيصاً جيداً بالاهتمام للأزمة الحضارية بين الإسلام والغرب في كتابات الأستاذ المتقاعد بيرنارد لويس لدراسات الشرق الأقرب في جامعة برنستون. حيث يطرح الأستاذ لويس في مجموعة مقالات خلال العقد المنصرم السبب لهذه الأزمة على أنه صراع أساسي بين النظرة الإسلامية المنتصرة للفتوح في الماضي ووجوده الحالي الهامشي اقتصادياً وسياسياً.<sup>١٠</sup>

إن أسامة بن لادن وتنظيم القاعدة قاموا بطرح أطروحات مشابهة. فوصفوا هذا الصراع كصدام عالمي وقيامي. ففي مقابلة معه في العام ١٩٩٩، يصف بن لادن هذه الحرب بقوله: "دعنا نقول أنه هناك حزبين في هذه الأزمة: الحزب الأول هو المسيحية والتي تحدم مع اليهودية الصهيونية وتقودها الولايات المتحدة وإنجلترا وإسرائيل، والحزب الثاني هو العالم الإسلامي."<sup>١١</sup> إن هذه الرسالة المتكررة تشبه تعليق آخر له "إن هذه الحرب ليست فقط بين شعب الحرمين الشريفين والأمريكيين، ولكنها حرباً بين العالم الإسلامي والولايات المتحدة وحلفائها، لأن هذه الحرب حملة صليبية جديدة تقودها الولايات المتحدة ضد الشعوب الإسلامية."<sup>١٢</sup> إن فكرة التصادم العظيم بين الحضارات - حرب تضع الإسلام في مواجهة الغرب - تخدم تلك المجموعات من حيث كونها دعوة للانضمام. من هذا المنظور يركز كلا الجانبين على الاختلافات الحضارية الأساسية بين المجتمعات الغربية والإسلامية ويوحى بأن النجاح في هذه الحرب يكمن في تغيير (بمعنى آخر، هزيمة) الآخر.

غير أنه ينبغي علينا في حالة قبولنا بهذا الإطار في نظرتنا للحرب على الإرهاب أن نعرف أهدافنا داخل هذا الإطار. فهدف كل حضارة في هذا التصادم هو تغيير (تدمير) أو احتواء الآخر

سواء اتخذ المرء موقفاً واقعياً (حيث يمثل الآخر تهديداً ينبغي تدميره أو احتوائه) أو سواء اتخذ موقفاً مثالياً (ينبغي أن يتقبل الآخر القيم ومقاييس السلوك "الصحيحة"). إن بناء الإستراتيجية يتطلب منا أن نعرّف الطرق التي سوف نستخدم بها وسائلنا المتاحة لتحقيق هدفنا المختار وغايتنا.

إن تدمير أو قهر حضارة أخرى أو مجموعة من الشعوب التي تبني تلك الحضارة يتضمن تغيير أنظمة الحكم التي هي تعبيرات عن تلك الحضارة في نظام عالمي مكون من حكومات دولية. ويفترض هذا الموقف رفضنا إبادة الحضارة وشعبها حيث لا يتناسب ذلك مع قيمنا الحضارية. إن أنظمة الحكم الجديدة، سواء المتعاطفة مع الغرب أو التي يتحكّم بها الغرب مباشرة. ينبغي حينئذ أن تغير المجتمعات التي تقوم بحكمها. وهناك العديد من الأمثلة في التاريخ عن كيفية القيام بتغيير الأنظمة الحاكمة، ولو أنه في معظم تلك الحالات لم تنجح هذه الإجراءات بتغيير الحضارة السائدة عندما تم الاحتفاظ بالشعب. ومثال بريطانيا في الهند مفيد. كما هو الحال في استعمارها للعراق. عمل استعمار الأمريكتين على تغيير الحضارات التي كانت موجودة من قبل، ولكن تم تدمير الشعب الأصلي واستبدال - أو تمت السيطرة عليه - بمستعمرين مسيحيين غربيين.

سيكون من الصعب استخدام مصادر قوتنا الدبلوماسية والاستعلامية والعسكرية والاقتصادية لتغيير أنظمة الحكم في العالم الإسلامي. وتوضح خبرتنا في فرض عقوبات اقتصادية ودبلوماسية على العراق في التسعينات هذه الصعوبة. فعلى الرغم من الضغط الدبلوماسي العالمي بالإجماع تقريباً، وعلى الرغم من عقد كامل مما يقرب من الحظر، إلا أن الوضع تطلب الإطاحة بنظام صدام حسين.

إن القيام بحرب ضد "حضارة" سيتطلب استراتيجية للمواجهة والإخضاع. وبرغم من صعوبة ذلك، فالغرب قادر على شن مثل تلك الحرب وتحقيق النصر. حتماً سيكون ذلك مكلفاً وسيطلب أعداداً كبيرة من الجنود مع توفير قوات عسكرية ذات عتاد تكنولوجي متقدم، وسوف يتطلب ذلك أيضاً فترة طويلة من الاحتلال لتحقيق التحكم بالشعب وتغيير سلوكه من خلال تغيير المعتقدات والتعليم.

وعلى الرغم من أن عمليتي الحرية الدائمة في أفغانستان والحرية العراقية قد أوضحتنا قدرة القوات العسكرية الغربية المسلحة بالتكنولوجيا المتقدمة على تحقيق النصر في المعارك، إلا أن ما تلى تلك العمليتين علّمنا أن تحقيق الاستقرار وإعادة بناء المجتمعات يتطلب قدراً كبيراً من الجهد. وحتى في حالة توفر الجهود، يظل الأمر مرهوناً بقدرة الغرب على تحقيق النصر في المعركة الاستعلامية وإزالة تأثير سنوات من التشريط الأيديولوجي في المدارس الإسلامية (الكتاتيب) ونظام الصلوات الخمس في المساجد. إن المرء تنتابه الشكوك حول

إمكانية تحقيق الحملة الاستعلامية الخارجية لتغيير ملموس في بنية الحضارة الإسلامية المغلقة والمحتوية لذاتها.

إن احتواء البلاد الإسلامية يمثل محاولة أكثر صعوبة. فالاحتواء، الذي يتضمن حدوداً يمكن داخلها التحكم بالعدو، يتطلب بناء تحالف قوي لخلق وتدعيم تلك الحدود. فلقد احتوى الغرب بنجاح الاتحاد السوفيتي، ولكن كان ذلك فقط بسبب الحاجة لمواجهة تهديد مباشر لأمان البلدان المتحالفة وبوراثه التحالفات العسكرية من الحرب العالمية الثانية. إلا أن كلا الحالتين ليستا متوفرتين الآن. ويبدو من شبه المؤكد أن القوة العسكرية للشعوب الإسلامية، حتى لو شملت الأسلحة النووية الحالية والمستقبلية، لن تصل في قوتها إلى ما كان عليه الجيش الأحمر للاتحاد السوفيتي.

يُمثل الاحتواء الاقتصادي للإسلام مشكلة أكبر. فعلى العكس من الاتحاد السوفيتي أثناء الحرب الباردة، تلعب البلدان الإسلامية دوراً هاماً وفاصلاً في الاقتصاد العالمي. والعديد من الأعضاء المحتملين للتحالف ضد الإسلام يعتمدون على الدول الإسلامية في الحصول على إمدادات النفط. فالمملكة العربية السعودية تمتلك وحدها حوالي ربع احتياطات البترول المؤكدة في العالم. وسيؤدي التمرُّق الاقتصادي في الغرب بسبب فقدان تلك المصادر إلى صعوبة توفير الدعم للاحتواء في غياب تهديد مريع حالي.

ويصعب حقاً على المرء اعتبار الدول الإسلامية خطرة. إن قوتها العسكرية صغيرة، كما أن ثروتها محدودة. والأكثر من ذلك، إن من مصلحتهم دعم الغرب ليظل مستهلك لبتروولهم لأنه المصدر الوحيد لثروتهم. ويتضمن التحالف الدولي ضد الإرهاب بقيادة الولايات المتحدة بلدان مثل، أذربيجان، مصر، الأردن، الكويت، قرغيزيا، ماليزيا، باكستان، قطر، المملكة العربية السعودية، طاجيكستان، تركيا، تركمانستان، الإمارات العربية المتحدة وأوزباكستان.<sup>١١</sup>

ولعل الإشكالية الكبرى هي أن استراتيجية الاحتواء ستؤجل الأزمة فقط. إن جوهر الاحتواء هو الموقف الوقائي المانع لحالة الحرب. حيث ننتظر تغيّر ظروف العدو الداخلية أو نستعمل التنافس الغير عسكري. فبدون توافر الخيارات العسكرية أو الاقتصادية الفعّالة، يمكننا فقط الانتظار حتى تغيّر أيديولوجية الشعب المعادي. غير أن الانغلاق الذاتي والاستقرار الحضاري الثابت للإسلام يشير إلى أن مثل هذا الانتظار سوف يكون طويلاً. وبنفس الوقت، إن الاحتواء يحكم على الشعب المعادي بالعزلة والبؤس، مما يدعم النخبة الحاكمة عن طريق توفير عدو خارجي يمكن إلقاء اللوم عليه عند مواجهة المشاكل. ويعمل الاحتواء أيضاً على زرع بذور الأزمات في المستقبل.

إن أطروحة هنتنجتون تحدد الأماكن التي من المحتمل أن تنشأ فيها الحروب. ولكنها بكل تأكيد لا تشترط نشوء تلك الحروب. وتفترض تلك الأطروحة وجود احتكاك على طول خطوط التماس بين الحضارات، لكنها لا تمنع من وجود تعاون عبر تلك الخطوط. وقد استخدم العديد من الكتاب أطروحة هنتنجتون باستخدام تعريفه للحضارة على أنها المحرك للأزمات المستقبلية بدلاً من القضايا الأخرى مثل القوة السياسية أو الاقتصادية والأيدولوجيا.<sup>١٤</sup> وفي الحقيقة، رفضت الإستراتيجية القومية للولايات المتحدة بوضوح اعتبار الحرب على الإرهاب صدام بين الحضارات: "إن العدو ليس نظام سياسي مفرد أو شخص أو عقيدة أو أيديولوجيا. إن العدو هو الإرهاب. عنف مُتعمد سياسي الدوافع وموجه ضد الأبرياء."<sup>١٥</sup>

إن إستراتيجيتنا القومية للحرب ضد الإرهاب تُعدّل مثل هذا الافتراض بالتركيز على الحرب ضد الشبكات الإرهابية، لذلك تصف الأزمة على أنها حرب بين الإرهابيين وكل الأمم المتحضرة. و بانفصالهم عن المجتمع الإسلامي ككل يمكننا النظر إلى الإرهابيين على أنهم أشرار انتهازيين فاقدى التوجه يستغلون عدم التوافق الشعبي لإشعال النيران التطرفية. ليس لدينا أي نية لخوض حرب فاتحة ضد الإسلام.

### تنظيم القاعدة ضد الغرب

على الرغم من أننا نسمي هذه الحرب حرباً ضد الإرهاب، إلا أن الحروب تنشب ضد أعداء محددين - وليس ضد أفعال. إن أعدائنا في هذه الحرب تم تعريفهم بطرق عديدة. "المتطرفون الإسلاميون" "المتطرفون المسلمون" أو ببساطة "الأشرار" وقد عرّف المعلقون التطرف الإسلامي على أنه البيئة التي ينتشر من خلالها هؤلاء الأفراد. ويعتبرون النيات السلمية للإسلام دليل على أن هؤلاء الإرهابيون لا يمثلون الشعوب العربية والإسلامية التي لا تُقدّم حكوماتها الدعم المعلن للمجموعات الإرهابية. لقد قامت السلطات في أكثر من ٩٠ دولة بما فيها المملكة العربية السعودية والأردن واليمن وباكستان وماليزيا وإندونيسيا بالقبض على أعضاء من تنظيم القاعدة والمجموعات الإرهابية المرتبطة بها.<sup>١٦</sup>

يطرح السيد جمال خاشقجي، رئيس تحرير النسخة الإنجليزية من أخبار العرب في المملكة العربية السعودية، مناقشة من وجهة النظر هذه موضحاً العار الذي جلبه بن لادن لعائلته الشهيرة وفقدانه لسمعته كتابع للإسلام ويشرح انتهاكه لتعاليم الإسلام التي حرّم سفك دماء الأبرياء.<sup>١٧</sup> ولكن بغض النظر عن ذلك، فإن هناك تقارير كثيرة تشير إلى أن تنظيم القاعدة والمجموعات المتطرفة الأخرى تتلقى دعم واسع النطاق عبر العالم الإسلامي.

يدعم الإرهابيون أنفسهم هذه الرؤية في الحرب ضد الغرب. إن هدف بن لادن وتنظيم القاعدة المعلن عنه يتضمن تخليص "العالم الإسلامي" من النظام الغربي العالمي "لتصحيح

ما حدث للعالم الإسلامي بشكل عام، ولأرض الحرمين الشريفين بشكل خاص.<sup>١٨</sup> تشير هذه التعليقات إلى خسارة الأرض العربية في الأزمة العربية - الإسرائيلية، وحرير الكويت بواسطة قوات غربية، وكذلك الوجود المستمر لتلك القوات في شبه الجزيرة العربية وأنهيار الثروة الاقتصادية العربية في الشرق الأوسط.<sup>١٩</sup>

وقد أوضح بن لادن بجلاء في عام ١٩٩٦ عزمه وتنظيم القاعدة على ارتكاب العنف بـ"إعلان الحرب على الغرب والأمريكيين المحتلين لأرض الحرمين الشريفين."<sup>٢٠</sup> بالإضافة إلى ذلك، كشف كتاب التدريبات الخاص بتنظيم القاعدة، والذي عُثر عليه أثناء غارة في بريطانيا، عن نيات تلك المنظمات وهي: "أن الحكومات الإسلامية لم ولن تقام من خلال الحلول السلمية ومجالس التعاون. إنها تُقام كما قامت (دائمًا) بالقلم والبنديقة، بالكلمة والطلقة، باللسان والأسنان."<sup>٢١</sup> لذلك، فإن الإرهابيين يتمنون أن يجبروا الغرب على الانسحاب من شبه الجزيرة العربية وفلسطين. وعلى مقياس أوسع، يطالب هؤلاء الإرهابيون بقيام حكومات إسلامية قوية ترفض الاتصال مع الغرب وتأثيراته.

إذا كانت هذه حقاً هي الحرب التي نواجهها، فينبغي علينا أسر وقتل أعضاء هذه المجموعات الإرهابية وردعهم عن القيام بمثل هذا العنف ومنع الهجمات المسلحة في المستقبل. ويرى كلا من بول ك. ديفس وبرايين مايكل جنكنس الإرهابيون على أنهم جزء من نظام كامل. يمتاز كل عنصر فيه بخصائص وطريقة في التأثير (شكل ١). إن بناء إستراتيجية عالمية لهزيمة الإرهابيين تتطلب التعامل الملائم مع كل من تلك الأجزاء وتكامل الخطوات الدبلوماسية والاستعلامية والعسكرية والاقتصادية. مثل هذه الخطوة، كما ظهرت في الإستراتيجية القومية للحرب ضد الإرهاب، ستشبهه عملية ضبط للقانون أكثر من كونها حرباً:

إن الولايات المتحدة وشركاءها سيهزمون المنظمات الإرهابية المنتشرة عالمياً بمهاجمة ملاجئها وقيادتها وسيطرتها واتصالاتها والدعم المادي والاقتصادي...

وسنمنع أي دعم أو مناصرة للإرهابيين بضمان أن البلاد الأخرى ستتحمل مسؤولية اتخاذ إجراء ضد تلك التهديدات الدولية داخل أراضيها...

وسنزيل الظروف التي يسعى الإرهابيون استغلالها عن طريق مناشدة المجتمع الدولي بتركيز جهوده وموارده على المناطق الأكثر تعرضاً للخطر...

غير أن أهم خطوة هي الدفاع عن الولايات المتحدة، ومواطنينا ومصالحنا في الداخل والخارج عن طريق الحماية النشطة لبلادنا وتمديد دفاعاتنا للتأكد من التعرف والقضاء على التهديدات مبكراً بقدر الإمكان (التوكيد في الأصل).<sup>٢٢</sup>

## القيادة العليا



شكل ١. الممثلون في النظام الإرهابي

أعيد طبعه من كتاب بول ك. ديفس وبرايين مايكل جنكنس. الردع والتأثير ضد الإرهاب: مكون في الحرب ضد تنظيم القاعدة MR-1619-DARPA [سانتا مونيكا، 2002، 15، CA:RAND, ([http:// www.rand.org/publications/MR/MR/1619](http://www.rand.org/publications/MR/MR/1619))

تُفصّل الاستراتيجية الأمريكية الخطوات والحملة الضرورية لهزيمة الإرهابيين. فبالنسبة للعمالء العسكريين، أهم مفهوم في تلك العمليات هو عكس العلاقة العملية الاستخبارية المعتادة. في العمليات العسكرية التقليدية، تكون عملية إيجاد العدو أسهل بشكل عام من عملية تدميره. حيث تتحرك بوضوح التشكيلات العسكرية الكبيرة نسبياً مع معداتها وتبعث إشارات متنوّعة يمكن التقاطها وتحديد مواقعها باستخدام وسائل تكتيكية. حينئذ يمكن تعبئة قوة عظيمة لتدمير جزء كبير من قوة العدو العسكرية ودفاعاته للقضاء على الوحدة العسكرية وفعاليتها. فتنسحب الوحدة المهزومة أو تشتت أو يتم أسرها.

على العكس من السابق، يعمل الإرهابيون كأفراد أو في مجموعات صغيرة مطمورة داخل مجموعات أوسع من السكان. ويتركون أثراً قليلاً يمكن أن تفقد بسهولة في ضوضاء المجتمع العالمي. كما يمكن لهؤلاء الإرهابيون أن يقوموا بنشاطاتهم عن طريق استخدام رسول ويتحركون كأفراد لتجنب ترك أي أثر. إن إيجاد مثل هؤلاء الإرهابيين يتطلب قدرة استخبارية عظيمة لتحقيق أكبر استفادة من المعلومات القليلة التي يتركها الإرهابيون ورائهم. وربما تكون العمليات الاستخبارية البشرية هي حقاً الوسيلة الوحيدة لجمع المعلومات قبل حرك

الإرهابيون. وبعد خديد موقع الإرهابيون. يمكننا أسرهم أو تدميرهم باستعمال قوة صغيرة نسبياً مع التأكد من التخلص منهم جميعاً. وإلا سوف نعطيهم الفرصة لإعادة التجمع وتنفيذ هجماتهم.

إن العمليات العسكرية في هذه الحرب ضد الإرهاب لا تتطلب زيادة كبيرة في القوة العادية. لكن بدلاً من ذلك، يجب أن تركز المساهمة العسكرية على جميع المعلومات الاستخبارية. ينبغي ألا نستخف بمقدار الجهد الضروري لتتبع الآثار الباهتة للإرهابيين أو بالحاجة إلى عنصر الخبرات البشري أو بالطبيعة الحرجة للتنسيق بين الإدارات الداخلية. إن العمليات العسكرية التقليدية من المحتمل سوف تحدد إمكانياتها إلى توفير التحرك وتوفير القوات الصغيرة لتنفيذ الغارات. إن القتال الرئيسي سيكون فقط للتعامل مع تركيزات كبيرة من الإرهابيين أو الدول التي تدعمهم. ويجب أن تصاغ أهداف تلك العمليات العسكرية باستخدام تعبيرات ضبط القانون: القبض على كل إرهابي، حياً أو ميتاً. كما ينبغي أن نطلب المساعدة من المنظمات والدول الأخرى لتوفير المعلومات والاستطلاع بتطوير وبناء الدول في المناطق التي تُفرض الإرهابيون.

إن هذا المنظور نابع من افتراض أن هذه حرب بين الإرهابيين والشعوب الغربية. خاصة الولايات المتحدة. وإذا كان الأمر كذلك، فإن الإرهابيين يقومون بحرب ضد الولايات المتحدة وأمثالها والنظام العالمي الذي يدعّمها ويساندها. إنهم يهدفون إلى تغيير سلوكيات غربية معينة، وأن يتبنى العالم وجهة نظرهم. وبالنهاية، يريدون تدمير الحضارة الغربية. إلا أن الطريقة التي يُعبّر بها الإرهابيون عن وجهة نظرهم هذه هي نفسها التي تثير التساؤل حولها. إن قيادة تنظيم القاعدة مُثَقِّفة وتألّف الحضارة الغربية. فهل من المحتمل أنهم ظنوا أن هجمات الحادي عشر من سبتمبر سوف تؤدي إلى تغيرات أساسية في الحضارة ونظام الحكم الغربيين؟ أو هل هناك احتمال أنهم صمموا الهجمات لاستفزاز العالم الغربي ثم استغلال رد الفعل للحصول على الدعم من جماهير أخرى؟ إن أسامة بن لادن لا يهتم بالدور الذي تلعبه رسائله الإيديولوجية في مدينة بيوريا. إن أهدافه وجمهوره يقعان في العالم العربي الإسلامي. كما أن مراجعة التعبيرات البلاغية وتاريخ المجموعات الإرهابية الإسلامية يقود المرء إلى استنتاج أن هؤلاء الإرهابيون يُمثّلون تمرد نشط لنشوب حرب أهلية. فإذا كانت هذه هي الحالة، تكون الحرب حينئذ بين عناصر التقدم والرجعية من أجل التحكم بالعالم الإسلامي.

### الحرب الأهلية في العالم الإسلامي (العربي)

إن أطروحات وخرركات الإرهابيين تتماشى مع أسلوب قديم من أساليب الحرب - التمرد على السلطة - إلا أنها على نطاق عالمي. إن هدفهم ليس العنف اللامنطقي، أو الانتقام أو الانتفاع المادي. بالأحرى، إنهم ينظرون إلى أنفسهم "كحركة منظمة تهدف إلى إسقاط الحكومة

من خلال استخدام الفتن والأزمات المسلحة.<sup>٢٣</sup> ولو أن ترابطهم رخو وقيادتهم الفعّالة تحت شعار تنظيم القاعدة تتبع إيديولوجية معينة. يؤثر ذلك على إستراتيجياتهم ويوفر الأساس الداعم في عملهم باتجاه هدفهم لاستبدال الحكومات الحالية في العالم العربي بخلافة إسلامية.<sup>٢٤</sup> إن قاعدة الإرهابيين الداعمة تتكون من شبكة جيدة التنظيم وواسعة من الأفراد والمسئولين الحكوميين والمتدينين وفروع من حركة الإخوان المسلمين والمجموعات المحلية المعارضة.

إن الأعضاء المؤسسون شيوخ في تنظيم القاعدة وجذورهم تمتد إلى الحركات الوطنية الإسلامية الممثلة بالإخوان المسلمون. والتي تأسست في مصر في عام ١٩٢٨ وصلتها حمية بالحركة الوهابية التطرفية السعودية.<sup>٢٥</sup> ويسعى الإخوان المسلمون - الذين تأسست حركتهم كرد فعل على سيطرة الاستعمار على الأمم الإسلامية - إلى تحقيق الاستقلال الوطني وإقامة الحكومات الإسلامية في الأمم الجديدة. ولقد انقسمت حركتهم إلى حركات صغيرة للغاية وتستمر في استغلال السخط الشعبي لتحقيق أهدافها.<sup>٢٦</sup> ومنذ انسحاب القوى الاستعمارية. وجهت حركة الإخوان المسلمون جهودها ضد أنظمة الحكم العربية. مستهدفة بذلك المشاركة - إذا أمكن ذلك - وباستخدام المقاومة العنيفة إذا لم يمكن.

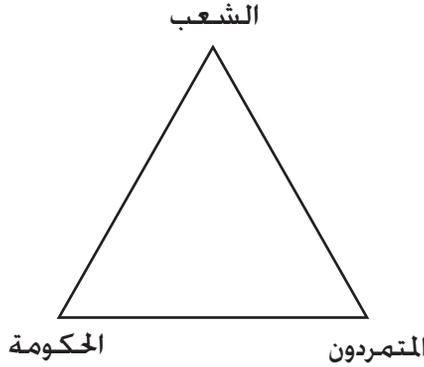
إن المطالعة الدقيقة للإعلانات التي يطلقها الإرهابيون أنفسهم تكشف عن تركيزهم على شبه الجزيرة العربية. حيث تعتمد جاذبية تنظيم القاعدة في العالم الإسلامي على وعود بإعادة تشكيل المنطقة من خلال العودة إلى العقيدة الإسلامية الأصلية بدلاً من العمل المتواصل في بناء الحكومات النيابية في العالم الإسلامي. وتبعاً لذلك. يُقدّم بن لادن نفسه كروبيّن هود الشرق الأوسط. الذي يعيش حياة متواضعة بينما "يدافع عن الفقراء والمستضعفين ضد الحاكم الطاغوي وأتباعه المنافقين." ويوضح فريد زكريا في كتابه "الإسلام والغرب" و"سياسية الغضب" جاذبية الإرهابيين. إن هناك جيلاً كاملاً من الشعب المسلم أصبح محبط اقتصادياً وسياسياً في مواجهة حكومات غير منتخبة عبر البلدان العربية. بالإضافة إلى الفساد المنتشر على نطاق واسع وسوء إدارة موارد البلاد ووجود حضارة عالية تدعم الوضع الراهن. إن رسالة الإرهابيين تضرب بعمق في التاريخ. فهم يقدمون للشباب الفرصة للعودة إلى "التقاليد" والقيم الإسلامية ومجد القرن الثالث عشر عندما اكتسحت الجيوش العربية المسلمة أفريقيا وآسيا وجنوب أوروبا. لتشجيع الانضمام استخدم الإرهابيون دعوتهم لتجديد توسّع العالم الإسلامي.<sup>٢٨</sup>

فما معنى كل ذلك؟ إن المتمردين يستخدمون التكتيكات الإرهابية في الحرب الأهلية التي يقومون بها ضد - ويهدفون إلى استبدال - أنظمة الحكم المسلمة "الغير شرعية." وكما فسّر لي هاريس. فإن الأهمية الوحيدة للغرب تكمن في أنه يعمل كدعامة لخدمة حملة التمرد:

إن هجمات الحادي عشر من سبتمبر لم تُصمم لتجعلنا نغيّر سياستنا، لكنها صُممت لكي تؤثر على الإرهابيين أنفسهم: لقد كانت تلك الهجمات جزء من مسرحية مذهلة. كان اختيار تنظيم القاعدة لتلك الأهداف ليس على أساس حسابات عسكرية، وعلى العكس تماماً - على سبيل المثال - من هجمات اليابانيين على بيرل هاربور. كانت الهجمات ضد رموز تُعبّر عن قوة أمريكا التي يمكن للمواطن العربي التعرف عليها. فقد كانت بالأحرى تلك دعائم ذات روعة وبهاء أيقظت خيال المجموعة المسلمة التطرفية: مجرد حفنة من المسلمين، رجال ذو إرادة مُخلصة برهانها استشهادهم، استطاعوا أن يهدموا الأبراج المتغطرسة التي أقامها الشيطان العظيم. أي برهان أفضل من ذلك يُثبت أن الله كان بجانب المتطرفين المسلمين. وأن حكم الشيطان العظيم أوشك على النهاية؟<sup>19</sup>

إن هذا التعامل مع الرموز والبصيرة صفة مميزة للتمرد. وبما أن المتمردين لا يستطيعون تحقيق النصر في أي معركة تقليدية، ولا يستطيعون الاحتفاظ بالأرض، فإنهم يسعون إلى استخدام طرق أخرى لتحقيق النصر. إنهم يأملون، في النهاية، إقناع الشعب بالكف عن دعم الحكومة القائمة (بمعنى آخر، يسعون إلى تدمير شرعية الحكومة القائمة) وبالأحرى أن يراهن على حركة التمرد.

إن شرعية الحكم، جائزة أي حرب أهلية، تعتمد على العديد من العوامل: توازن مقبول بين الرفاهية المادية والأمن والمشاركة الفعلية في الحكم والتماسك الحضاري. وسوف يحصل الجانب الذي يوفر هذه الاحتياجات على دعم الجمهور. يستخدم الدكتور جوردون ماكورميك، من الكلية البحرية للدراسات العليا، نموذج مثلث الشكل مكون من الحكومة-الشعب - التمرد، ليشرح هذا النزاع الرئيسي (شكل ٢). حيث يسعى المتمرّدون إلى كسر الرابطة بين الحكومة والشعب عن طريق برهنة عدم قدرة الحكومة على ممارسة الحكم. وتكشف الهجمات على موظفي الحكومة والداعمون لها عن ضعف النظام بينما تؤدي الهجمات على الأهداف الاقتصادية على عجز الحكومة عن توفير الاحتياجات المادية للشعب، والكثير من المجموعات المتمردة توفر خدمات منافسة لخدمات الحكومة - كلاً من مساعدات اقتصادية وحكومة "خفية" - لكي تبدأ بنشاط استبدال الحكومة وتقوية روابطها مع الشعب. ويجد المرء الدليل على ذلك في روابط كثيرة بين المنظمات الإرهابية والجمعيات "الخيرية" الإسلامية. كما بدأ تنظيم القاعدة من خلال تلك الجمعيات، التي وفّرت المعونة ليس فقط لهؤلاء العامة المقاتلة ولكن مزايا للمحاربين الأفغان في الحرب ضد الاتحاد السوفيتي. من جانبها، تسعى الحكومة إلى فصل المتمردين عن عامة الناس عن طريق الهجوم على المتمردين أو نقل وحماية العامة. في نفس الوقت، ينبغي على الحكومة أن تنظر إلى الشكاوي التي أعطت الفرصة للمتمردين بالظهور.



شكل ٢. مثلث الحكم - الشعب - التمرد

إن كان الإرهابيون متمردين يسعون لنشوب حرب أهلية في العالم الإسلامي. فما هي الإستراتيجية المناسبة. وعلى من تنفيذها؟ إن قمع التمرد يتطلب منا تعريف وتدمير "جنود" العدو كما يتطلب مهاجمة الأسس الإيديولوجية للتمرد والبنية الداعمة له والظروف التي سمحت له بالظهور والاستمرار. إن الأمر يتطلب هزيمة النظام الأكبر. أي تدمير مصدر التجنيد والدعم والملاذ الذين يستعين به الإرهابيون. وإعادة جنود العدو بسلام إلى مجتمعاتهم. تلك هي الظروف الضرورية للانتصار في هذه الحرب.

وعلى الرغم من أن موضوع مكافحة التمرد مدروس بعناية. إلا أنه موضوع غير مفهوم بعد. ببساطة. مجرد إدراك أن الإرهابيون يقومون بالعمل على نشوب تمرد عالمي يؤدي إلى أهم معالم هذه العقيدة: يجب أن نعتد على العمليات العسكرية التقليدية لتحقيق هدفنا الإستراتيجي النهائي بالنصر. وأنه يمكننا تحقيق النصر فقط داخل العالم الإسلامي ذاته. أي أن الحكومات الأهلية - وليس قوة خارجية - هي فقط التي تستطيع الفوز في هذا الصراع للحصول على الشرعية.

توجد عقائد أمريكية مفصلة بشأن مكافحة التمرد في توجيهات الدفاع الداخلي في الخارج للجيش الأمريكي. حيث يكون التركيز على الدفاع الداخلي والتنمية Internal Defense And Development - المدى الواسع للخطوات التي يتخذها شعب ما لكي ينمو ويحمي نفسه من التدمير والفوضى والتمرد. يُركّز الدفاع الداخلي والتنمية على بناء مؤسسات سياسية واقتصادية وعسكرية واجتماعية حيوية تستجيب لتلك الحاجات الاجتماعية.<sup>٣١</sup>

وهذه التعريفات التي تركز على الأمن والتنمية داخل المجتمع المهدهد. يجب أن تُشكّل كل ناحية من استراتيجيتنا. ودور الولايات المتحدة أو أي قوة خارجية في الدفاع الداخلي والتنمية هو

تقديم النصح والتدريب والمساعدة للقوى الأهلية لكي تستطيع القوى الأهلية الحكم داخل حدودها. إن الافتراض الحرج وغير المنصوص عليه في هذه العقيدة هو أن الحكومات الأهلية المدعومة يمكن أن تحصل وتحافظ على الشرعية.<sup>٣٢</sup> بينما يُركّز المنظور المتوسط الأمد على إيجاد وهزيمة المتمردين. فالاستراتيجية الكاملة تُدرك أولوية الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية للأزمة.

في الدفاع الداخلي والتنمية يجب أن توفر العمليات العسكرية الخالصة بيئة آمنة تشجّع على النمو المتوازن. وقد قامت العمليات العسكرية الأمريكية في أفغانستان بهذا الغرض. عن طريق تدمير قوات الطلاب وتنظيم القاعدة وإجبارهم على إخلاء المراكز الشعبية. غير أن العمليات العسكرية يجب ألا تصبح إجراءات مستقلة تهدف فقط إلى تدمير القوات المقاتلة للمتمردين ومناطق تركيزهم. بل ينبغي أن تظل العمليات العسكرية جزء من الجهد المتزامن لتحقيق الأهداف الأوسع نطاقاً.<sup>٣٣</sup>

إن حملة مكافحة التمرد من خلال برنامج الدفاع الداخلي والتنمية تأخذ ثلاثة أطوار متطابقة - وأحياناً آنية. في الطور الأول. تقوم القوات العسكرية وشبه العسكرية بتأمين المنطقة المستهدفة لتوحيدها. مرة أخرى. يفترض المرء أن تلك القوات هي قوات أهلية تحت قيادة محلية. تمثل حكومة شرعية. ويكون هدف تلك القوات هو التدمير المنظم لقوات وبنية العدو وكذلك الأفراد المتمردين. وبما أن الناس عادة ما تعيش في المنطقة المرغوب في توحيدها. فإن القوات ينبغي أن تُحْد من استخدامها لقوتها النارية وذلك لتقليل الخسائر المدنية والخسائر في الممتلكات. إن جهود التوحيد الحقيقية تبدأ أثناء الطور الثاني. حيث تُخل مؤسسات ضبط القانون محل القوات العسكرية بعد أن تقوم القوات العسكرية بدورها في القضاء على وتدمير العناصر المتمردة وهيكلها البنائي. تركز المرحلة الأخيرة على العمل التنموي - بناء الدولة - حيث توفر الحكومة المحلية الأمن والرفاهية لعامة الناس.<sup>٣٤</sup>

إن توسيع هذه العقيدة لتشمل الأزمة العالمية التي تعبر الحدود الدولية والحضارية والاقتصادية يمثل تحدي بسبب الطبيعة العالمية التي توسّع من مدى العمليات في كل النواحي وتُعقّد التداخلات بين الأجزاء من النظام الإرهابي واستراتيجياتنا.

وللتعامل مع مثل تلك التعقيدات. فإن معظم العلماء وعقيدة الولايات المتحدة الحالية ينظرون إلى التمرد على أنه نظام معقد. والقيام بذلك يتطلب منا وضع في الاعتبار تأثيرات إجراءاتنا على منظمات التمرد وكذلك على العلاقات بين أجزائها المختلفة وعلى العلاقات بين المتمردين وبقية العالم. من وجهة النظر العسكرية. ينبغي أن نستخدم منطلق الأنظمة لتكميل التأثيرات السياسية والاجتماعية والاقتصادية الناجمة من الإجراء العسكري للتعامل

مع الأزمة الأوسع. وتعمل التعليقات التالية على ضم العقيدة العسكرية مع عمل بارد إ. أونيل، خاصة مع خليله الشامل للتمرد والإرهاب: داخل الحرب الثورية الحديثة.<sup>٣٥</sup>

إن عقيدة الجيش تستخدم سبعة عناصر تعمل كإطار لتحليل التمرد: قيادة المتمردين، والإيديولوجية والأهداف والبيئة والدعم الخارجي والتطور الزمني والأنماط التنظيمية العملية.<sup>٣٦</sup> وي طرح أونيل إطاره التحليلي حول تنظيم المتمردين ووحدهم وطبيعة التمرد واستراتيجيات التمرد والبيئة والدعم الشعبي والدعم الخارجي والاستجابة الحكومية.<sup>٣٧</sup> في كلا الإطارين ينبغي على المرء اختبار تلك الخصائص وتوسيعها بشكل ملائم بحيث تشمل معركة التمرد الحالية العالمية.

إن تحليل التمرد يقود إلى خصائص كل مكون للنظام الإرهابي ثم يقترح طرق محتملة يبتعها الإرهابيون في عملياتهم ونقاط ضعفهم ويقترح استراتيجيات لهزيمتهم. ولكن لا يستطيع المرء بناء أجزاء منفردة معزولة للاستراتيجية لأن التداخلات بين أجزاء النظام الإرهابي والبيئة العالمية وإجراءاتنا ربما تؤدي إلى استراتيجيات لها تأثيرات واسعة مختلفة على الأجزاء المختلفة للنظام. على سبيل المثال، التعبير التقليدي عن الدعم الخارجي للتمرد يضع في الاعتبار الحكومة-الدولة التي تدعم الإرهابيون بتوفير الملجأ والدعم المعنوي. في هذه الحرب، نجد أن الدعم المقدم للمتمردين لا يأتي من دول ولكن شبكة معقدة من أفراد وموظفون حكوميون ومنظمات - سرية وعلنية - تقدم المساعدة والحماية من خلال المجتمعات المفتوحة للغرب أو المناطق الغير خاضعة للقانون في العالم. إنهم يستخدمون الاتصالات العالمية ووسائل النقل والهيكل المالي كجزء تكميلي لعملياتهم. كل ذلك يُعقد مهمة إيجاد وعزل وهزيمة المتمردين.

إن تدمير التمرد عملية معقدة طويلة المدى حيث لا يكون هناك سلاح ذكي أو قذيفة فضية أو نقطة حرجة يمكنها أن تؤكد نصر سريع. تمثل هذه الحرب فرص ضئيلة للقتال بين قوات عسكرية نظامية في منطقة مُعرّفة مع قوات غير قتالية منفصلة بشكل جيد في منطقة نائية. من المحتمل أن تبدو العمليات العسكرية التي ستُشن مثل فوضوية وتشبه قذارة الحروب الصغيرة في الماضي.<sup>٣٨</sup> والأهم من تلك الأزمات الصغيرة المفتوحة سوف تكون الحملة الشاملة والمستمرة "التجفيف المستنقع" حيثما يفرخ الإرهابيون - وهي مفتاح مكافحة التمرد. وللأسف يبدو هذا الخيار ذو جاذبية ضعيفة بالنسبة لوزارة الدفاع، إذ أن هذا الخيار يقدم فرص قليلة لتجريب أفضل ما وصلت إليه تكنولوجياتنا ويولد متطلبات قليلة لبرامج غالية، كما أنه يأخذ العديد من الانتخابات السياسية لإتمامه. وهذا الخيار يوفر زهو قليل في معركة قتالية بين جنود بوسائل مسلّحون بمهارات أشبه برجال الشرطة أو الأشبه بمسئول سياسي محلي يود بناء المجتمع.

إن مقارنة سريعة لمبادئ الحرب مع مبادئ العمليات العسكرية الغير حربية. (تعتبر مكافحة التمرد جزء من العمليات العسكرية الغير حربية) من عقيدة الولايات المتحدة المصاحبة يلقي الضوء على تلك الاختلافات (جدول ١).

جدول ١. مبادئ الحرب ومبادئ العمليات العسكرية الغير حربية

الحرب	العمليات العسكرية الغير حربية
هادفة	هادفة
هجومية	كابحة
اقتصاد	
المناوره	
وحدة القيادة	وحدة الجهود
الأمن	الأمن
المفاجأة	المتابرة
البساطة	الشرعية

مأخوذ من النشر المشترك ١. الحرب المشتركة لقوات الدفاع الأمريكية. ١٤ نوفمبر ٢٠٠٠. ٣-٨.

ربما يبدو الخوض في حل المشاكل التي تواجه المجتمعات المسلمة خارج نطاق اهتمامنا وأكبر من قدرة مصادرننا. إلا أننا يمكننا عمل الكثير لتشجيع العالم المسلم على حل تلك المشكلات داخلياً. من الناحية التاريخية، أدى العجز عن المشاركة في تشكيل سياسة شعبية إلى التمرد. إلا أن الديمقراطية والحكومة الممثلة للشعب ليست على تناقض مع ممارسة الإسلام. إن الحكومات في تركيا وإندونيسيا وإيران وأحياناً باكستان توفر المشاركة الديمقراطية بدرجات مختلفة. وهناك عدد كبير من المسلمين يعيشون في البلاد الغربية. ويمارسون كلاً من الدين والديموقراطية. فينبغي أن نقوم بكل جهد لتشجيع تلك الأمم والمجموعات لتأخذ القيادة في العالم الإسلامي ومنظماته.

إلا أن مهمتنا الأولى هي منع الهجمات المستقبلية ضد أمريكا وبقية العالم المتحضر - عزل التمرد بحيث يمكننا هزيمته على أرضه. من الناحية المثالية، نود أن نعرف الإرهابيون المحتملون وأسرههم وقتلهم قبل أن يقوموا بهجماتهم. إلا أن طبيعة منظمات الإرهاب/التمرد المنتشرة والمغلقة تجعل ذلك مستحيل. وبنفس الأهمية، ينبغي أن نحافظ على شرعية وصلابة الأسس القانونية لإجراءاتنا. إن معظم الإرهابيون لا يرتكبون أي جريمة قبل أن يقدموا على تنفيذ هجماتهم. وكما حدث في هجمات الحادي عشر من سبتمبر، فقد دخل الخاطفون

التسعة عشر إلى الولايات المتحدة بشكل قانوني ولم يخالفوا أي قوانين قبل ذلك اليوم. وإذا لم يتمكن اعتقال الإرهابيون، يجب علينا حينئذ أن نردعهم من بدء الهجوم.

لكن كيف يمكن أن نردع أعداء ينون قتل أنفسهم بالهجوم علينا؟ إحدى الإجابات تكمن في النظر إلى النظام الذي يدعمهم ويساندهم ثم القيام بتصميم وتنفيذ إستراتيجية للهجوم على كل جزء من هذا النظام بطريقة ملائمة. معظم الأعضاء في النظام الإرهابي، خاصة أولئك الذين يشكلون الهيكل الداعم، لا ينون الموت لهذا السبب يمكننا أن نردعهم عن طريق إجبارهم على تحمل المسؤوليات التي تجنبوها لفترة طويلة. وهناك حل آخر يكمن في حرمان الإرهابيون من مزايا تحركاتهم. وأن نحصن الأهداف بما يقلل مباشرة من الدمار الذي يمكن أن يلحقه الإرهابيون مقابل تضحيتهم. وكذلك معاملة الإرهابيون الذين تم اعتقالهم كمجرمين وتعريضهم لمحاكمة علنية. وحبسهم بحرمتهم من فرصة الاستشهاد. وربما يكون التكتيك الأكثر أهمية هو الهجوم على التحركات الإرهابية من داخل الإسلام ذاته. لقد تعرض تنظيم القاعدة إلى هجوم لاذع من قبل القادة الدينين المسلمين لممارسة تعاليم إسلامية زائفة وإنقائية. إن الموت في معركة ربما جدير بالإطراء من وجهة نظر الإسلام ولكن ليس الانتحار.

### الاستنتاج

أي نوع من الحرب؟ يظهر الدليل على أنها أساساً حرب أهلية للتحكم بالعالم العربي الإسلامي. غير أن ميدانها العالمي وتكتيكاتها المرعبة التي يستخدمها المتمردون تغشي نظرنا. إن النواحي الحضارية - الاحتكاك بين الحضارات - تعد عوامل في معركة الحصول على شرعية الحكم في البلاد الإسلامية. كما أن النزاع لم يأخذ بعد شكل التصادم بين الحضارات، ولكن تحوله إلى ذلك من الممكن.

في هذه الحرب، قمنا بدعم الأنظمة الموجودة في البلدان الإسلامية. صراحة وضمناً، من خلال الاقتصاد العالمي والمؤسسات السياسية. إن المتمردون - الإرهابيون - الذين يسعون لتدمير تلك الأنظمة قاموا بتبني تكتيكات للقضاء على هذا الدعم. وبذلك دخلنا في هذه الحرب. ينظر الإرهابيون إلى هذه الصلة بالغرب على أنها مركز الجاذبية وأعادوا اكتشاف تعليق كلاسويتز على الأخير: "بالنسبة للبلدان الصغيرة التي تعتمد على البلدان العظمى، من المعتاد أن يكون مركز الجاذبية مُلك الجيش الذي يحميهم."<sup>٤</sup> إن الانتصار في الحرب ضد الإرهاب يتطلب منا أن نستمر في مساعدة الأنظمة الصديقة في جهودهم للقضاء على المتمردين - وليس تخفيض مساعداتنا.

إلا أنه في هذه الحرب الأهلية لا يملك أي من الجانبين قيماً أو إجراءات قد تنال الإعجاب. وبغض النظر عن دوافع المتمردين. لا نستطيع السماح بهجمات على الولايات المتحدة. إن اختيارهم للإرهاب كتكتيك واستهدافهم لمواطني الولايات المتحدة يفرض علينا الاستجابة. لكننا لا نحتاج أن نستجيب عن طريق توسيع دعمنا الغير محدود لأنظمة الحكم الحالية في العالم العربي. ينبغي أن نقوم بالاستجابة بعناية لتناسب مع واقع الأزمة. خاصة بتعبيرات إنهاء العمليات الإرهابية في تلك المناطق التي تقع خارج قدرة الحكومات المسلمة على الوصول إليها. بينما نقوم بتشجيع إعادة التشكيل الداخلي لحل الشكاوي الشرعية.

يتواجد المتمردين حقاً بسبب الشكاوي. إن إنهاء التمرد سوف يتطلب تغييرات أساسية في الحكومات العربية القائمة. وهو جزء هام من أي حل طويل الأمد. إن القيام بمثل هذا التغيير صعب. ومهمة دقيقة تتطلب وزن حريص لكلماتنا وإجراءاتنا. كما ينبغي علينا استهداف الشر في كلا من الإرهابيين وأنظمة الحكم القمعية بطرق تتماشى مع حضاراتهم. وكما أن الإرهاب ليس هو العدو. كذلك فإن الإسلام ليس هو العدو. بالأحرى. فإن الإرهابيين هم الأفراد والمؤسسات التي تستخدم العنف للسيطرة على البشر. ينبغي علينا تجنب الصدام بين الحضارات عن طريق تشجيع نمو المبادئ.

ربما يكون هناك اختلافات بين الإسلام والغرب. لكن الاختلافات لا تؤدي إلى أزمة إلا إذا حولها أحد الأطراف إلى تحديات للأخر. في هذه الحالة. تواكبت الإستراتيجية القومية للولايات المتحدة مع قيمنا الأساسية والطبيعة المفتوحة للمجتمعات الغربية وكذلك التداخلات العالمية التي جلبت التأثير الغربي إلى داخل البيوت حول العالم. كل ذلك تواكب مع بعضه البعض ليضعنا في وسط حرب أهلية مستمرة داخل العالم الإسلامي. إن الولايات المتحدة طالبت باستمرار بنشر الديمقراطية في الخارج وكذلك القيام بعمل نشط لزرع الديمقراطية وحكم القانون في كل ركن من العالم - ملزمة نفسها لتغيير تلك النواحي من الحضارات الأخرى.<sup>٤١</sup> لقد دخلت القيم والمعتقدات الغربية والتي ولدت في خضم شبكة المعلومات العالمية. دخلت افتراضياً إلى كل جزء من العالم الإسلامي.

وإذا أصبحت تلك الحرب ضد الإرهاب صدام بين الحضارات. فإن الغرب سوف يكون بشكل غير مقصود هو البادئ لهذا الصدام. ومطالبة العالم بثمار الحضارة الغربية سيقوم بمساندة هذا الصدام. إن هذا المطلب العام يجعلني واثق من أن متطلبات الكرامة الإنسانية غير القابلة للتفاوض والمعلنة في إستراتيجيتنا للأمن القومي - "حكم القانون. القيود على السلطة المطلقة للدولة وحرية التعبير وحرية العبادة والعدالة واحترام المرأة والتسامح الديني والعرقى واحترام الملكية الخاصة" - سوف تنتصر بالنهاية.<sup>٤٢</sup>

١- كما يستعمل هنا. فإن معنى الإرهاب يتسق مع المعنى الموجود في تقرير وزارة الخارجية الأمريكية السنوي "أنماط الإرهاب العالمي". مأخوذ من عنوان ٢٢ من القانون الأمريكي، جزء (d) 2656f: مصطلح الإرهاب يُعبر عن عنف مدفوع سياسياً متعمد يرتكب ضد أهداف غير قتالية من جانب مجموعات جزء قومية أو عملاء سرّيين. تنوي عادة أن تؤثر على الجمهور. "ويتعقب معنى الإرهاب الانتقالي المعنى الموجود في كتاب بارد إ. أونيل التمرد والإرهاب: داخل الحرب الثورية الحديثة (دوليس، في فرجينا: براسيز، المحدودة، ١٩٩٠): الإرهاب الذي يقوم به ممثلون غير حكوميين مستقلون ذاتياً لتمييزه عن الأفعال التي تقوم بها مجموعات تحت سيطرة دولة ذات سيادة (٢٤).

٢- الرئيس جورج و. بوش. الاستراتيجية الوطنية لمكافحة الإرهاب (واشنطن، دي سي: البيت الأبيض، فبراير ٢٠٠٣)، ٢.  
[http://www.whitehouse.gov/news/releases/2003/02/counter\\_terrorism/counter\\_terrorism\\_strategy.pdf](http://www.whitehouse.gov/news/releases/2003/02/counter_terrorism/counter_terrorism_strategy.pdf)

٣- لمنظور مبكر جيد، انظر إلين م. جروسمان، "هل القوات العسكرية الأمريكية جاهزة لمواجهة تهديد إرهاب غير تقليدي؟" داخل وزارة الدفاع الأمريكية، ١٨ أكتوبر ٢٠٠١، ١. منظور عالي، رغم التركيز على العمليات العسكرية التقليدية، واضح في مقال إليوت كوهين "الحرب العالمية الرابعة"، وول ستريت جورنال، ٢٠ نوفمبر ٢٠٠١. ولناقشات أكثر تفصيلاً، أنظر المقدم أندرو ج. سميث، الجيش الاستراتيجي الملكي، "مكافحة الإرهاب"، مجلة المراجعة العسكرية، يناير - فبراير ٢٠٠٢، ١١-١٨؛ وكولين س. جراي، "التفكير بشكل غير متماثل في أوقات الإرهاب"، بارامترات، ربيع ٢٠٠٢، ٥-١٤. ولمعالجة عامّة، أنظرت، إيرين ساندرز، "لحاربة الإرهاب، لا نستطيع التفكير في خط مستقيم"، واشنطن بوست، ٥ مايو ٢٠٠٢، ب ٢.

٤- بوش، الاستراتيجية الوطنية لمكافحة الإرهاب، ١.

٥- صامويل ب. هنتنجتون، "صراع الحضارات؟" شئون خارجية ٧٢، رقم ٣ (صيف ١٩٩٣): ٢٢-٢٨؛ وصراع الحضارات وإعادة صنع النظام العالمي (نيويورك: سايمون وشوستر، ١٩٩٦).

٦- هنتنجتون، صراع الحضارات، ٢٠٨.

٧- المرجع السابق. تلخّص هذه الفقرة معظم الفصل التاسع. "السياسة العالمية للحضارات."

٨- كوين. "الحرب العالمية الرّابعة."

٩- إن عطلة نهاية الأسبوع الترميمية هي حلقة دراسية محافظة سياسياً سنوية تحت رعاية مركز دراسة الحضارة الشعبية. 3)501 (مجموعة غير هادفة للربح مقرّها لوس أنجلوس. وعقدت الحلقة الدراسية في نوفمبر ٢٠٠٢. في بالم بيتش، فلوريدا. جيمس ر. وولسي. "الحرب العالمية الرابعة" (خطاب. حلقة عطلة نهاية الأسبوع الترميمية. ١٦ نوفمبر ٢٠٠٢.

<http://www.globalsecurity.org/military/library/report/2002/021116-ww4.htm>

١٠- بيرنارد لويس. "جذور الغضب الإسلامي." مجلة الأطلسي الشهرية ٢٦٦. رقم ٣ (سبتمبر ١٩٩٠): ٤٧.

١١- نسخة من "أسامة بن لادن. دمار تنظيم القاعدة." تقديم صلاح نجم (أجراه جمال إسماعيل في موقع غير محدد في أفغانستان). مذاق في ١٠ يونيو ١٩٩٩. مركز بحوث الإرهاب. <http://www.terrorism.com/terrorism/BinLadinTranscript.shtml>

١٢- أسامة بن لادن. "رسائل ١٩٩٧." مقتبس في "عينات من اقتباسات من أسامة بن لادن." بوستن هيرالد. ٢٠ سبتمبر ٢٠٠١.

١٣- القيادة المركزية الأمريكية. "مساهمات عالمية في الحرب على الإرهاب." <http://www.centcom.mil/Operations/Coalition/joint.htm> (دخل في ١٩ أغسطس ٢٠٠٣); ووزارة الدفاع الأمريكية. "المساهمات العالمية في الحرب ضد الإرهاب." نشرة حقائق. ١٤ يونيو ٢٠٠٢. <http://www.state.gov/coalition/cr/fs/12753.htm>

١٤- لاختيار المقالات على جوانب أطروحة هنتنجتون. أنظر ريتشارد إي. روبنستين وبارل كروكير. "تحدي هنتنجتون." السياسة الخارجية. رقم ٩٦ (خريف ١٩٩٤): ١١٣؛ إدوارد و. سعيد. "اشتباك الجهل." الأمة ٢٧٣. رقم ١٢ (٢٢ أكتوبر ٢٠٠١): ١١؛ وسيف الدين آدم حسين. "عن نهاية التاريخ وصدام الحضارات: نظرة المعارض" مجلة شئون الأقلية الإسلامية ٢١. رقم ١ (٢٠٠١): ٢٥-٣٨.

- ١٥- الرئيس جورج و. بوش، إستراتيجية الأمن القومي للولايات المتحدة الأمريكية (واشنطن، دي سي: البيت الأبيض، ١٧ سبتمبر ٢٠٠٢)، ٥.  
<http://www.whitehouse.gov/nsc/nss.html>
- ١٦- سفارة الولايات المتحدة، طوكيو، اليابان، "البيت الأبيض يذكر تفاصيل التقدم المستمر في الحرب العالمية على الإرهاب"، نشرة حقائق، ١ يوليو ٢٠٠٣،  
<http://japan.usembassy.gov/e/p/tp-20030703a4.html> (دخل ١٦ أغسطس ٢٠٠٤).
- ١٧- جمال خاشقجي، "الحرب ضد الإرهاب: منظور سعودي"، أخبار العرب، ٩ أكتوبر ٢٠٠١،  
<http://www.arabview.com/article.asp?artid=109> (دخل في ٢٥ يوليو ٢٠٠٣).
- ١٨- أسامة بن لادن، "إعلان الحرب ضد الأمريكان الذين يحتلون أرض الحرمين الشريفين"، القدس العربي، ١ أغسطس ١٩٩٦.  
[http://www.defenddemocracy.org/research\\_topics/research\\_topics\\_list.htm?topic=7580&page=2](http://www.defenddemocracy.org/research_topics/research_topics_list.htm?topic=7580&page=2)
- ١٩- الدكتور فريد زكريا، "تقرير خاص: سياسة الغضب"، نيوزويك ١٣٨، رقم ١٦ (١٥ أكتوبر ٢٠٠١): ٣٦.
- ٢٠- بن لادن، "إعلان الحرب".
- ٢١- دليل تدريب تنظيم القاعدة (وجدته شرطة مدينة ماننشتتر [إجلترا] أثناء تفتيش بيت لعضو من تنظيم القاعدة، 1. <http://www.fas.org/irp/world/para/manualpart1.html>
- ٢٢- بوش، الاستراتيجية الوطنية لمكافحة الإرهاب، ١١-١٢.
- ٢٣- النشر المشترك ٠٢-١، قاموس وزارة الدفاع للقوات العسكرية والمصطلحات المرتبطة، ١٢ أبريل ٢٠٠١ (كما هي معدلة حتى ٩ يونيو ٢٠٠٤)، ٢٦٠.  
[http://www.dtic.mil/doctrine/jel/new\\_pubs/jp1\\_02.pdf](http://www.dtic.mil/doctrine/jel/new_pubs/jp1_02.pdf)
- ٢٤- الخلافة المتصورة توحد العالم الإسلامي تحت حاكم دنيوي وديني واحد - الخليفة يعمل مقام وريث في الخلافة للنبي محمد (صلى الله عليه وسلم).

٢٥- مناقشة جيدة عن تأثير الأخوان المسلمين على أسامة بن لادن، أنظر بيترل. بيرجين، الحرب المقدسة، المحدودة : داخل العالم السري لأسامة بن لادن (نيويورك: المطبعة الحرة، ٢٠٠١).

٢٦- غاري سيرفولد، "الإخوان المسلمون" في اعرف عدوك: لمحات حياة الزعماء الخصوم وحضارتهم الاستراتيجية، نشر بارباري ر. شنايدر وجيرولد م. بوست (قاعدة ماكسويل الجوية، ألاباما: مركز القوات الجوية الأمريكية ضد الانتشار، نوفمبر ٢٠٠٢)، ٤١- ٤٤.

٢٧- بيرنارد لويس، "تحلل أسامة وجاذبيته الشريرة"، وول ستريت جورنال، ٢٣ أغسطس ٢٠٠٢.

٢٨- زكريا، "تقرير خاص"، هذا التقرير الخاص ذو أجزاء خمسة - "الإسلام والغرب" و"سياسة الغضب" - يعطي نظرة عامة شاملة للقضايا التي تغذي الإرهاب والعنف الإسلامي.

٢٩- لي هاريس، "الايديولوجية الخيالية لتنظيم القاعدة"، مجلة المراجعة السياسية، رقم ١١٤ (أغسطس/سبتمبر ٢٠٠٢): ١٩.

٣٠- إن علاقة "الشرعية" بين الحكومة والشعب والمتمردين أساسية لنظرية وعقيدة مكافحة التمرد. فأتساءل مناقشات مع المؤلف، انخرط العديد من الضباط العسكريين في الحرب على الإرهاب وذكروا أن مثلث الدكتور مكورميك أعطاهم بصيرة حرجة أثناء تطوير مهماتهم.

٣١- الدليل الميداني للجيش الأمريكي (FM) ٣١-٢٠-٣، الدفاع الداخلي في الخارج: تكتيكات وأساليب وإجراءات القوات الخاصة، ٢٠ سبتمبر ١٩٩٤، ١-١.

٣٢- تكمن الشرعية الحكومية في عقول الحكوميين. فهم يقبلون أو يرضخون لحكم الحكومة مقابل الأمن المادي والاشتراك المعنوي في تشكيل قرار الحكومة والعاقد المادي - وبمعنى آخر، "الحياة والحرية والسعي وراء السعادة" الذي عبّر عنه توماس جيفرسون في إعلان الاستقلال. وهذا لا يعني أن الحكومات الشرعية يجب أن تكون ديمقراطيات تحريرية أو تلبّي جميع المطالب بالتساوي. فطالما وجدت آليات تكفي لإشباع الحاجات الملموسة للمحكومين، فسيعتبر الناس الحكومة شرعية. فعلى سبيل المثال، على الرغم من طبيعة الاتحاد السوفيتي القمعية، فقد بدأ أن شعبه يمنح الشرعية إلى الحكومة الشيوعية إلى أن فشلت تماماً في تلبية حاجاتهم المادية. وتظهر الحكومة الحالية للصين محتفظة بالشرعية بالوفاء بأمّن

السكان وحاجاتهم المادية على الرغم من توفير القليل من المشاركة ذات المعنى في تشكيل قرار الحكومة.

٣٣- وزارة الخارجية ٣١-٢٠-٣، الدفاع الداخلي في الخارج، ١-١٨.

٣٤- المرجع السابق، ملحق ج .

٣٥- أونيل، التمرد والإرهاب.

٣٦- وزارة الخارجية ٣١-٢٠-٣، الدفاع الداخلي في الخارج، ١-٨.

٣٧- أونيل، التمرد والإرهاب. لقد عدّلت من ترتيب التقديم لتسهيل تقديم متوازي مع المعلومات السابقة من عقيدة الجيش.

٣٨- لتعريف جيد، انظر النص الأصلي للعقيد س. إ. كالويل الحروب الصغيرة: مبادئها وممارستها، الطبعة الثالثة (١٩٠٦): إعادة طبع، لنكولن: مطبعة جامعة نبراسكا، (١٩٩٦):

الحرب الصغيرة هو تعبير استخدم بشكل واسع في السنوات الأخيرة. وتعريف الحرب الصغيرة صعب في الحقيقة بعض الشيء. فعملياً قد يقال أنه يتضمن جميع الحملات غير تلك التي يكون فيها كلا الجانبين المتعارضين من قوات نظامية. وتشمل الحملات ضد الهمج والأجناس النصف متحصّرة ومنظمة التجنيد، وتشمل الحملات التي تتم لقمع التمردات وحرب العصابات في جميع أنحاء العالم حيث تكافح الجيوش المنظمة ضد المعارضين الذين لن يقابلوهم علناً في الميدان، وهكذا فمن الواضح أنها تغطي عمليات تتفاوت جداً في مجالها وشروطها(٢١).

٣٩- "عمليات التفجير الانتحارية غير إسلامية، كما يقول المفتي الأكبر" أخبار الخليج، النشرة على الإنترنت، ٢٥ أبريل ٢٠٠١.

<http://www.gulf-news.com/Articles/print.asp?ArticleID=15483>

٤٠- كارل فون كلاسويتز، عن الحرب، نشر وترجمة مايكل هاوارد وبيتر باريت (برينسيبتون، NJ: مطبعة جامعة برينسيبتون، ١٩٧٦)، ٥٩٦.

- ٤١- الرئيس وليام ج. كلينتون، استراتيجية أمن قومي لقرن جديد (واشنطن، دي سي: البيت الأبيض، مايو ١٩٩٧)، أ: وبوش، استراتيجية الأمن القومي، مقدمة.
- ٤٢- بوش، استراتيجية الأمن القومي، ٣.

براءة ذمة

أن الاستنتاجات والآراء الواردة في هذه المقالة تعبر عن آراء المؤلف فقط استناداً إلى حرية التعبير والبيئة الأكاديمية للجامعة الجوية. وليس للحكومة الأمريكية، أو وزارة الدفاع، أو القوة الجوية، أو الجامعة الجوية أي علاقة بهذه المقالة بأي شكل من الأشكال.

# AIR & SPACE POWER CHRONICLES

The DOD's First Professional Journal Online  
<http://www.airpower.maxwell.af.mil>

Visit our other Web sites

• *Air & Space Power Journal - Español*  
<http://www.airpower.maxwell.af.mil/apjinternational/apjiesp.html>

• *Air & Space Power Journal - Em Português*  
<http://www.airpower.maxwell.af.mil/apjinternational/apjipor.html>